

# الصاحب صاحب

تأليف

أبو محمد /

خالد بن محمد البحر جاسور



الدار العالمية للنشر والتوزيع



حقوق الطبع محفوظة  
الدار العالمية للنشر والتوزيع

الصاحب  
ساحب

الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٢٠١٠/٠٠٠٠٠٠٠٠م

الترقيم الدولي: 978-977-6326-00-00 I.S.B.N.

الدار العالمية للنشر والتوزيع



ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٦٥٥٢١١٨ /+٢ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ /+٢٠٣ /تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ /+٢٠٣

E-mail: [alamia\\_misr@hotmail.com](mailto:alamia_misr@hotmail.com)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ  
شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ  
يُضِلِّهِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ  
لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ  
مُسْلِمُونَ﴾ [الْعَمَل: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا  
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ  
كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ  
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا  
عَظِيمًا﴾ [الْجُلُب: ٧٠-٧١].

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرُنَا بِأوامر وأوصانا بوصايا، وكذلك نبيه ﷺ حثنا على أمور، ولا يأمرنا ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى بشيء ولا نبيه ﷺ إلا وفيه مصلحة بل مصالح عظيمة لنا، وهذا الفرق بين أوامر المولى جَلَّ وَعَلَا ورسوله ﷺ، وبين أوامر البشر.

ومن أوامره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأوامر رسوله ﷺ:  
الأمر بصحبة الأخيار: قال تعالى:

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

فأمرنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بصحبة الأخيار وملازماتهم، ونهانا عن صحبة الأشرار مع ضرورة مفارقتهم، قال عزَّجَلَّ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨].

وهذه مسألة عظيمة من مسائل هذه الحياة الدنيا، فإنَّ الله تعالى لبالغ حكمته ونافذ قدرته خلق الخلق بتدبيره وفطرهم

بتقديره فكان مَنْ لطيف ما دبّر وبديع ما قدر، أن خلق الإنسان مطبوعاً على الافتقار إلى جنسه، راغباً في مصاحبة مَنْ هم على شاكلته، ميالاً إلى مخالطة أفراد نوعه ومجالسة بني جلدته، والإسلام كما تعلم أيها القارئ اللبيب دين تجمع وإلفة، ونزعة التعرف إلى الناس أو الاختلاط بهم أصيلة في تعاليمه، ولهذا قالوا قديماً: «الإنسان مدني بطبعه» يجب المجالسة والمخالطة، ويكره الوحدة والعزلة، فلا يمكن أن يعيش لوحده، بل لابد له من جليس يؤنس، أي لابد له من صديق وصاحب، ولابد له من قوم يأوي إليهم، ويكون معهم، وقد جاءت شريعةُ أحكم الحاكمين ملبية لهذه الحاجة الفطرية التي يصلح بها معاش الناس ومعادهم، ولكنها بينت بياناً كافياً شافياً أنه لا يصلح للصحبة كل إنسان، فحثت على صحبة المتقين الأبرار، ونهت وحذرت عن صحبة أهل المعاصي والأشرار، فمن الجلوس مَنْ تكون مجالسته دواء، ومنهم مَنْ تكون مجالسته داء.

إذاً الجلوسُ قسمان: جليس صالح، وجليس سوء، فليُنظر الإنسان مَنْ يجالس، ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يَخَالُ»<sup>(١)</sup>.

فَإِنْ كَانَ يَعِينُهُ عَلَى أَدَاءِ الْوَاجِبِ وَحِفْظِ الْحَقُّوقِ، وَيَحْجِزُهُ عَنِ السُّوءِ وَاقْتِرَافِ الْحَرَامِ، فَإِنَّهُ قَرِينُ الْخَيْرِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَسْتَمْسِكَ بِهِ وَيَحْرَصَ عَلَى مَوَدَّتِهِ وَمَجَالَسَتِهِ، وَإِلَّا فَلْيَحْذَرِ الْإِنْخِدَاعَ بِمَنْ يَزِينُونَ لَهُ طَرِيقَ الْغَوَايَةِ، وَيَسْتَرْسِلُونَ مَعَهُ فِي أَسْبَابِ الْغَوِّ وَاللَّهْوِ، فَاذْهَبْ إِلَى الْمُسْلِمِ الَّذِي يَرْجُو النِّجَاةَ لِنَفْسِهِ عَمَّنْ تَسُوءُ صَحْبَتُهُمْ أَوْ مَنْ يَغْرُونَ بِالتَّهَاوُنِ وَالْهَزْلِ وَاجِبٌ. فَعَلَى الْإِنْسَانِ - ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى - أَنْ يَخْتَارَ الْجَلِيسَ الصَّالِحَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْخَيْرِ وَطَرِيقَهُ وَيَحْتَثُّ عَلَيْهِ، وَيُبْعِدَهُ عَنِ الشَّرِّ وَسُبُلِهِ وَأَسْبَابِهِ وَأَهْلِهِ وَيَحْذَرُهُ مِنْهُمْ.

وَنَظَرًا لَخَطُورَةِ الصَّدِيقِ وَتَأْثِيرِهِ الْبَالِغِ عَلَى الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ ضَوَابِطُ وَقَوَاعِدُ لاختياره وإلا أُصِيبَ الْإِنْسَانُ بِالضَّرَرِ وَالْعَنْتِ، وَلِذَا يُحْذَرُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَحَسَنَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (١/ ٦٦٤) حَدِيثَ رَقْمِ

صديق السوء في غير ما موضع من كتاب الله جل في علاه في إشارة صريحة إلى ضرورة اختيار الصديق وفق مواصفات معينة يقول سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (٢٧) يَوَلَّتْ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿[الفرقان: ٢٧-٢٩].

قال شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى عليه في تفسيره: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ...﴾ يقول تعالى ذكره: ويوم يعض الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ندمًا وأسفًا على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه، يقول: يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلًا، يعني طريقًا إلى النجاة من عذاب الله.

وقوله: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي...﴾ يقول جل ثناؤه مخبرًا عن هذا النادم على ما سلف منه في الدنيا من معصية ربه في طاعة خليله: لقد أضلني عن الإيمان بالقرآن وهو الذكر بعد إذ جاءني من عند الله فصددني عنه، يقول الله:

﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ يقول: مسلماً لما ينزل به من البلاء غير منقذه ولا منجيه. اهـ

فتأملوا إخواني الكرام حفظكم الله تعالى ما أخبر به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ نَدَمِ الظَّالِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وتأسفِهِ على مصاحبته لِمَنْ ضَلَّ وانحرف، وكان سبباً في انحرافه وإضلاله، وكيف كان هذا الصديق والخليل سبباً لدخول هذا البائس عذاب الله، وبعده عن رحمته، نعوذ بالله تعالى من سوء العاقبة.

وقبل الشروع في الموضوع يجب أن نقف وقفة حتى نبين فيها الفرق بين الصاحب والصديق، لكي يكون القارئ الكريم على علم ودراية بمدلول كل منهما.

### الفرق بين الصاحب والصديق:

من جمال اللغة العربية وثرائها الواسع في مفردات كلماتها، أَنَّ بناء الكلمة يحمل المعنى في داخله، فالصاحبُ من الصحبة في الزمان والمكان، والصديقُ من الصدق في التعامل وفي المحبة، (وكما يُقال: الصديق مَنْ صَدَقَكَ - بالتحريك -



وليس مَنْ صَدَّقَكَ - بالتشديد - والمراد: الصديقُ من كان صادقاً معك في معاملته ونصحه وجميع أمره).

قال الشاعر:

سلامٌ على الدنيا إذا لم يكن بها صديقٌ

صدوقٌ صادق الوعد منصفاً

وبعضنا يخلط بين الصاحب والصديق وينسى أن اللغة العربية حددت مفهوم كل منهما، وأنه ليس كل صاحب صديقاً، والقرآن الكريم راعى الفوارق بين الكلمتين. وقد جاءت كلمة «الصديق» في القرآن مرتين فقط .. الأولى: في التشريع بجواز الأكل من بيت الصديق واعتباره ضمن الأقارب، وذلك في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

أي بيت الصديق مثل البيت الذي تملك مفاتيحه، وذلك أروع مثل للصديق والصدقة ..

الأخرى: يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاصفًا حال المشركين في النار وهم يصرخون: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ .

فالصديق في الدنيا هو الرفيق الحالي الذي يجده الإنسان عند الشدة فيجد لديه السلوى والراحة، وبينما يجلس أصحاب الجنة يتسامرون في صداقة ومحبة وقد نزع الله ما في صدورهم مِنْ غِلٍّ فَإِنَّ أَصْحَابَ النَّارِ يَصْرَخُونَ طَلَبًا لِلشَّفِيعِ والصديق ..  
أما الصاحب فقد يكون صديقًا أو عدوًّا، ولكنه في الحالتين يصحبك في الزمان والمكان.

١ - فقد تكون الصحبة مؤقتة في الطريق مثل العبد الصالح مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي﴾ [الكهف: ٧٦].

٢ - وقد تكون تلك الصحبة المؤقتة بين مسلم وكافر، والكافر يغتر ويستكبر كما في قصة الرجلين وأحدهما صاحب الحديقة أو الجنة.

﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ .

ويرد عليه المسلم: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٤-٣٧].

وقد تكون تلك الصحبة المؤقتة بين نبي وكافر مثل يوسف  
عَلَيْهِ السَّلَامُ مع صاحبيه في السجن ﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

٣- وقد تكون الصحبة مؤبدة مثل الوالدين والله تعالى يقول: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]  
ومثل الزوجة الدائمة ويصفها القرآن بأنها صاحبة، لأنها تصحب الزوج طيلة عمره، وقد تكون صديقة حبيبة وقد تكون شرًّا مستطيرًا، وهي في الحالتين صاحبة له. وإذا كان الزوج في الدنيا يحمي زوجته صاحبتة فإنه يهرب منها ولا ينقذها يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦].

بل يتمنى المجرم أن يفترق نفسه بهم ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ [الفرج: ١١-١٢].

ومن الطبيعي أن تلك الزوجة صاحبة عاشت مع صاحبها الزوج إلى أن مات عنها أو ماتت عنه، أي استمرت صحبتها في حياتها الدنيا ..

والجار أيضًا من أنواع الصحبة المستمرة، وله حق، يقول تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [النساء: ٣٦].

٤ - وأصحابُ النبي لا يعني أن يكونوا جميعًا مؤمنين مخلصين له، فالله تعالى يقول عن قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١].

فلما عبر بهم موسى عَلَيْهِ السَّلَام البحر عبدوا العجل .. والله تعالى يقول عن خاتم النبيين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاطب أهل مكة: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [البقرة: ٢].

أي كان النبي صاحبًا لهم في الزمان والمكان ولكن ليس في الاعتقاد والإيمان ..

ويقول عن صاحبه في الغار والمشهور في التراث أنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا

أَلَلَّهُ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

فالصاحبُ قد يكون صديقاً على نفس دين صاحبه، وقد يكون محباً لصاحبه وقد لا يكون.

إذن فلنعد النظر في صداقاتنا، ولنستعرض أصدقاءنا واحداً بعد الآخر، ولنسأل أنفسنا ما نوع الروابط بيننا؟ أم هي الأخوة الإسلامية؟ أم هي المصالح الدنيوية؟ أم هي الشهوات الشيطانية؟

ولعل هذا الوقت يكون مناسباً للتذكير بهذا الموضوع «اختيار الصاحب» المتمثل في إنشاء العلاقات الجديدة وتحديدتها، وتنقية العلاقات القديمة وتمحيصها، وفقاً للضوابط الشرعية والأصول والقواعد المرعية، لقول الله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

وامتثالاً لقول النبي ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي»<sup>(١)</sup>.

ومعناه كما قال الحافظ المناوي رحمة الله تعالى عليه: «لا تصاحب إلا مؤمناً» وكامل الإيمان أولى لأن الطباع سرقة، ومن ثم قيل: صحبة الأخيار تورث الخير، وصحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إذا مرت على التتن حملت نتناً، وإذا مرت على الطيب حملت طيباً..... وصحبة من لا يخاف الله لا يؤمن غائلتها لتغيره بتغير الأعراض، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطْعَمَنَ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾<sup>\*</sup> والطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري..... «ولا يأكل طعامك إلا تقي» لأن المطاعمة توجب الألفة وتؤدي إلى الخلطة، بل هي أوثق عرى المداخلة ومخالطة غير التقي يخل بالدين ويوقع في الشبه والمحظورات، فكأنه ينهى عن مخالطة الفجار إذ لا تخلو عن فسادٍ إمّا بمتابعةٍ في فعل أو

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وحسنه الشيخ الألباني رحمة الله تعالى عليه في «صحيح الجامع» (١٢٢٦/٢) حديث رقم [٧٣٤١].

مساحة في إغضاء عن منكر، فإن سَلِمَ من ذلك ولا يكاد فلا تخطئه فتنة الغير به، وليس المراد حرمان غير التقي من الإحسان لأنَّ المصطفى ﷺ أطعم المشركين وأعطى المؤلفة المئين بل يطعمه ولا يخالطه، والحاصل أنَّ مقصود الحديث كما أشار إليه الطيبي النهي عن كسب الحرام وتعاطي ما ينفر منه المتقي، فالمعنى: لا تصاحب إلا مطيعاً ولا تحالل إلا تقياً<sup>(١)</sup>. اهـ. وقوله ﷺ: «المرءُ مع مَنْ أَحَبَّ» متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود رضي الله عنهما.

وقوله عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الرجلُ على دين خليله، فليُنظر أحدكم مَنْ يُخالل»<sup>(٢)</sup>.

فبين ﷺ أنَّ المرءَ مُشاكلٌ ومُماثلٌ لخليله وجليسه في الاستقامة والصلاح وعدمها، ولذلك قال عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فليُنظر أحدكم مَنْ يُخالل» أي ليتبين مَنْ هو خليله وليختر الخليلَ المضي في دينه وخلقه.

(١) انظر: «فيض القدير» (٦/ ٤٠٤ - ٤٠٥).

(٢) سبق تخريجه ص [٦].

والمعنى أنَّ الإنسان يكون في الدين، وكذلك في الخلق على حسب مَنْ يصاحبه، فليُنظر أحدكم مَنْ يُصاحب، فإنَّ صاحب أهل الخير، صار منهم، وإنَّ صاحب سواهم، صار مثلهم.

قال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى عليه في كتاب العزلة: (قوله: «المرء على دين خليله» معناه: لا تُخالل إلا مَنْ رُضيت دينه وأمانته فإنَّكَ إذا خالته قادكَ إلى دينه ومذهبه.

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: «ما من شيء أدلَّ على شيء ولا الدُّخان على النار من الصَّاحب على الصَّاحب».

وقال ابن حِبَّانَ رحمه الله تعالى عليه: «إِنَّ مِنْ أَعْظَم الدلائل على معرفة ما فيه المرء من تقلبه وسُكُونه هو الاعتبار بِمَنْ يُجَادِثُهُ وَيُودُّهُ، لأنَّ المرء على دين خليله وطيرُ السماء على أشكالها تقع».

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الأرواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فما تعارفَ منها اتَّلفَ وما تناكرَ منها اختلف»<sup>(١)</sup>.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في «كتاب الأدب»، والبخاري تعليقا من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها في «كتاب الأنبياء».



قال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى عليه: يقول  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْأَجْسَادَ الَّتِي فِيهَا الْأَرْوَاحُ تَلْتَقِي فِي الدُّنْيَا  
 فَتَأْتَلَفُ وَتَتَخَلَّفُ عَلَى حَسَبِ مَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ مِنَ التَّشَاكُلِ  
 وَالتَّنَافَرِ فِي بَدْءِ الْخَلْقَةِ، وَلِذَلِكَ تَرَى الْبِرَّ وَالْخَيْرَ يُحِبُّ شَكْلَهُ  
 وَيَحْنُ إِلَى تَرْبِهِ، وَيَنْفَرُ عَنْ ضِدِّهِ، وَكَذَلِكَ الرَّهَقُ الْفَاجِرُ يَأْلَفُ  
 شَكْلَهُ وَيَسْتَسِنُّ فَعْلَهُ وَيَنْحَرِفُ عَنْ ضِدِّهِ».

وقال بعضهم في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّجُلُ عَلَى  
 دِينِ خَلِيلِهِ» انظروا إلى فرعون مع هامان، أضل هذا بهذا،  
 وأخذ هذا من عزة هذا، وأعان بعضهم بعضاً على الكفر  
 واستعباد البشر.

وجليسُ الخير مفيدٌ دائماً وأبداً، مثلما قال النبي  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ كَمَثَلِ الْعِطَّارِ، إِنْ لَمْ  
 يَعْطِكَ مِنْ عَطْرِهِ أَصَابَكَ مِنْ رِيحِهِ»<sup>(١)</sup>.

---

(١) أخرجه أبو داود والحاكم من حديث أنس رضي الله تعالى عنه وصححه  
 الشيخ الألباني رحمه الله تعالى عليه في «صحيح الجامع» (١/١٠١٤)  
 حديث رقم [٥٨٢٨].

وهذا هو الفرقُ الشاسع والبون الكبير بينه وبين نافخ الكير، الذي يحرق ثيابك، أو تجد منه ريحاً نتنة، كما جاء من حديث الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ الْمَسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ، إِمَّا أَنْ يُخْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تُبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»<sup>(١)</sup>. فهذا الحديث أصلٌ في اختيار الجليس، وهو مشتملٌ على ضرب المثل للجليس الصالح وجليس السوء، وضربُ الأمثال هي من طرق البيان وتقريب المعاني، وفي القرآن من ذلك كثير، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] وهذه الآية جاءت بعد قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَرَهُ الْبُيُوتِ لَبَيْتٌ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ

كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَقِيَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الأنعام: ٨٩].

وفي السنة النبوية الصحيحة الصريحة كذلك أمثال هذا

منها، فالمثل يتضمن تشبيه (مشبه ومشبه به).

والتشبيه كما هو معلوم له أركان: مشبه، ومشبه به، وأداة

تشبيه، ووجه شبه.

مثل الجلّيس الصالح يعني: صفة الجلّيس الصالح كأنه

قال: الجلّيسُ الصالح كحامل المسك، ما المشبه؟ (الجلّيس

الصالح) والمشبه به (حامل المسك) وأداة التشبيه هي الكاف

(كحامل المسك) ووجه التشبيه ذكره في المشبه به، ويعلم وجه

الشبه في المشبه، الجلّيس الصالح كحامل المسك الذي معه

مسك يحمله معه، حامل المسك إذا جالسته لا تعدم الخير إمّا

أن يهديك مجاناً، وإما أن تبتاع (تشتري) منه، وإما أن تجد منه

رائحة طيبة، والمسك نوع من الطيب فواح، وأكثر ما يذكر في

النصوص الشرعية هو المسك فهو من أطيب الطيب، كما قال  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المِسْكُ أَطْيَبُ الطِّيبِ»<sup>(١)</sup>.

الجلسُ الصالح كحامل المسك، الصالح، مَنْ الصالح؟  
 المجلس الصالح: الصالح في دينه، وصلاح الدين يكون  
 بالعلم والعمل والخلق.

بالعلم: المجلس الصالح هو مَنْ يكون على علم بدين الله  
 تعالى (كتاباً وسنة) وعلى تقوى وعلى جانب من حسن الخلق،  
 هذا المجلس الصالح، هذا هو الذي ينبغي أن يختار المسلم  
 مجالسته ويتخذه جليساً وقريناً وصاحباً.

وهذا المجلس الصالح أيضاً هو طيب ويحمل أطيّب  
 الطيب يعني هو ذو علم وذو تقى وذو خلق، فإمّا أن تستفيد  
 منه علوماً يتحفك بها فهذا من نوع الإهداء في المشبه به أو  
 الابتاع، تستفيد منه علماً وفقهاً في الدين بنصائح، بوصايا،  
 بمسائل، أو تكون لك فيه قدوة تقتدي به، إن لم تنل منه علماً  
 مباشراً بطريق التعليم انتفعت به اقتداءً تقتدي به في هديه في

(١) أخرجه مسلم والترمذي من حديث أبي سعيد رضي الله تعالى عنه.

سيرته، قدوة إمام صالح تتأسى به، أقواله فيها خير، فيها حكم، فيها وصايا، فيه تذكيرٌ: تذكيرٌ بالله تعالى، تذكيرٌ بآيات الله عزَّ وجلَّ، تذكيرٌ بنعم الله سبحانه التي لا تُعد ولا تحصى، تدبر تفكر، لو قدر أن لا تحصل على شيء من هذا ولا ذاك فإنك ستربح السلامة مما لو جالست غيره، فالسلامة ربحٌ أيضًا ومكسبٌ حيث تسلم من المآثم، فلا يقرك على محرم، وستسلم مما قد تُبتلى به لو جالست غير هذا العبد الصالح، فهو لا يؤذيكَ ولا يُجاريكَ في أمور مكروهة أو محرمة فأنْتَ تربح السلامة قطعاً.

فإذا كانت تلك حال المجلس الذي قد تجتمع به في لقاء عابر، في ساعة يسيرة من ليل أو نهار، فكيف بك مع صاحب العمر الذي يخاطبك في السراء والضراء؟؟؟

وفي هذا أبلغ دافع وحثٍ على اختيار المجلس الصالح، فالجلسُ له شأنٌ وله أثرٌ ملموسٌ في فكر الإنسان ومنهجه وسلوكه، وهو سببٌ فعَّالٌ في مصير الإنسان وسعادته الدُّنيوية والأخروية، فإنَّ المرءَ يتأثرُ بجليسه ويصطبغُ صبغته

فكرًا ومعتقدًا وسلوكًا وعملاً، والإنسان يُنسبُ لصاحبه  
الذي يرى معه ويرافقه.

كما قال عديُّ بنُ زيدٍ الشاعرُ:

عن المرءِ لا تسألُ وسلْ عن قرينه

فكلُّ قرينٍ بالمُقارنِ يَقتدي

إذا كنتَ في قومٍ فصاحبُ خيارهم

ولا تصحبِ الأردى فتردى مع الردي

يشرف الإنسانُ بمصاحبة الأخيار، إذا رأيتَ إنسانًا مع

أهل العلم ومع طلبة العلم ومع الصالحين مع العباد فهذا  
عنوان خير والحمد لله رب العالمين.

هذا مثلٌ واحدٌ «مثل الجليس الصالح كحامل المسك

إما أن يحذيك» يهديك «وإما أن تبتاع منه» تشتري منه «وإما

أن تجد منه رائحة طيبة» الحمد لله، وما أروعهُ من مثل، مثل  
عظيم مصور.

وفي المقابل «ومثل الجليس السوء» هو ضد الجليس

الصالح تمامًا، يعني صفته بنقيض ما تقدم والعياذ بالله تعالى،

جهل، سوء خلق، يعني: أحمق، غضوب، مغتاب، نمام، خائن، مفرط في جنب الله، لا علم، ولا تقوى، ولا خلق، هذا جليس سوء، عيادًا بالله تعالى من مصاحبتهم.

وإذا كان الصالحون يتفاضلون، كذلك الآخرون من ذوي الجهل والفجور يتفاوتون «ومثل جليس السوء كنافخ الكير» وهو جلدٌ غليظٌ يُنفخُ به النار، فهو إمَّا أَنْ يتطاير عليك من شرر ناره فيُحرق ثيابك، أو تجد منه الرائحة الكريهة التي تُصيبُ بدنك وثوبك، والرسول ﷺ ذكر وجه الشبه في المشبه به كما قلنا في الأول يدرك منه وجه الشبه في المشبه به، جليس السوء ماذا تستفيد منه؟

جليس السوء لا تحصل منه سوى الغفلة، والوقوع في ما حرم الله سبحانه وتعالى، تكتسب منه تزيين الباطل وتشويه الحق، التنفير عن أهل الخير والصلاح، هذه نتائج مجالسة جليس السوء، أيضًا يُوقعك بسوء خلقه في مشاكل متعددة، تدخل بسببه في مشاكل وفي خصومات، مثل نافخ الكير، فنافخ الكير إمَّا أَنْ يحرق ثيابك وتحسر الثوب، وإمَّا أَنْ تجد

منه رائحة خبيثة، وجليس السوء لو قدر أنك سَلِمْتَ منه ومن شره تكون ما ربحت شيئاً، ولو قدر أنه لم يوقعك في حرام أو شبهة، تكون أيضاً ما ربحت شيئاً إلا السمعة السيئة، مَنْ تراه مع الأراذل والسفهاء والجهلاء والفسقة والفجرة، فيقال: فلان يُجالِسُ فلاناً، فلان يَجْلِسُ مع المدخنين... وهذا أقل الأمور مع المدخنين، مع الفسقة، مع تاركي الصلوات، مع أصحاب الفجور والباطل.

فهذا حديث عظيم ينبغي للمسلم أن يتخذه منهجاً في مَنْ يُصَاحِبُه وَمَنْ يُجَانِبُه، فصاحب الأَخيار وجانب الأَشْرار، فهذا يقال فيه: نعم الجليس، وذاك يقال عنه: بئس الجليس. والله أعلم.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى عليه عند شرحه لهذا الحديث: «فيه تمثيله ﷺ الجليس الصالح بحامل المسك، والجلس السوء بنافخ الكير، وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع،



وَمَنْ يَغْتَابَ النَّاسَ، أَوْ يَكْثُرَ فَجْرُهُ وَبَطَالَتُهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ  
الْأَنْوَاعِ الْمَذْمُومَةِ<sup>(١)</sup>. وَقَالَ الْحَافِظُ الْمَنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى  
عَلَيْهِ فِي شَرْحِهِ: «وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ النَّهْيُ عَنْ مَجَالَسَةِ مَنْ تَوْذِي  
مَجَالَسَتِهِ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا وَالتَّرْغِيبُ فِي مَجَالَسَةِ مَنْ تَنْفَعُ مَجَالَسَتُهُ  
فِيهِمَا»<sup>(٢)</sup>.

### وَأُنْشِدْ بَعْضَهُمْ:

تَجَنَّبَ قَرِينَ السُّوءِ وَاصْرَمَ حِبَالَهُ  
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْهُ مَحِيصًا فَدَارِهِ  
وَالزَّمْ حَبِيبَ الصَّدَقِ وَاتْرِكْ مِرَاءَهُ  
تَنَلْ مِنْهُ صَفْوَ الْوَدِّ مَا لَمْ تَمَارِهِ  
وَمَنْ يَزْرِعِ الْمَعْرُوفَ مَعَ غَيْرِ أَهْلِهِ  
يَجِدُهُ وَرَاءَ الْبَحْرِ أَوْ فِي قَرَارِهِ  
وَلِلَّهِ فِي عَرْضِ السَّمَاوَاتِ جَنَّةٌ  
وَلَكِنَّهَا مُحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ

(١) انظر: «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٦/ ١٧٨).

(٢) انظر: «فيض القدير» (٣/ ٤).

## مميزات المجلس الصالح:

جليسك الصالح: يذكرُك إذا نسيت، ويعلمُك إذا جهلت، يدلك على الخير، وينهاك عن الشر، ويُسمعك العلمَ النافع، والقولَ الصادق، والكلامَ الطيب، والحكمةَ البليغة، والدعاءَ الصالح، ويبصرك آلاء الله، ويعرّفك عيوبَ نفسك، ويشغلك عما لا يعينك.

وإن كان قادراً: سدَّ خلَّتكَ، وقضى حاجتك، ثم لا تحتاج بعد الله جلَّ في علاه إلى سواه، إن ذكَّرتَه بالله طمع في ثوابه، وإن خوّفته من عذاب الله ترك الإساءة، يُجهد نفسه في تعليمك وإصلاحك إذا غفلتَ عن ذكر الله تعالى ذكرك، وإذا أهملت بشرّك وأنذرك، يعتني بك حاضرًا وغائبًا.

وإن كان مثلك أو دونك فهو: يسدُّ خلَّتكَ، ويغفرُ زلَّتكَ، ويُقبلُ عثرتك، ويستر عورتك، وإذا اتجهت إلى الخير حثك عليه، وكان لك عونًا عليه، وإذا عملت سُوءًا أو توجهت إلى سوءٍ حال بينك وبين ما تريد، وقال: أعرض عن هذا، واستغفر لذنبك إنك كنت من الخاطئين.

وصالح إخوانك: لا يمل قُربك، ولا ينسأك على البعد، تُسرّ بحديثه إذا حضر، إنه يشهد بك مجالس العلم، وحلّق الذكر، وبيوت العبادة، ويزين لك الطاعة، ويقبح لك المعصية، ولا يزال ينفعك حتى يكون كبائع المسك وأنت المُهدى إليه أو المشتري.

وَلِصَلاحه: لا يبيع عليك إلا طيباً، ولا يغشك، ولا يعطيك إلا جيداً، وإن أبيت الشراء فلا تمر بشارعٍ إلا وجدت منه ريح الطيب الذي يملأ الأنوف؛ أولئك القوم لا يشقى بهم جليسهم تنزل عليهم الرحمة، فيشاركونهم فيها، ويهم بالسوء فلا يقوله ولا يستطيع فعله، إذا لم يكن مخافةً من الله فحياءاً من عباد الله الصالحين.

### وصيته:

أوصى بعضُ الصالحين ولده لما حضرته الوفاة، فقال: يا بني! إذا أردت صُحبة إنسانٍ فاصحب مَنْ إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، واصحب مَنْ إذا مددت يدك للخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن رأى منك سيئة سدّها.

وقال بعضُ السلف: عليكم بإخوان الصدق، فإنهم زينة في الرخاء، وعصمة في البلاء. فالأخيار الأبرار الأتقياء إذا وُجدوا في مجتمع جذبوا أشباههم أو انجذبوا إليهم وسرى تيار المحبة بينهم.

والصاحبُ صاحبٌ: لو أن مؤمناً دخل إلى مجلسٍ فيه مائة منافق ومؤمنٌ واحد لجاء حتى يجلس إليه، ولو أن منافقاً دخل إلى مجلسٍ فيه مائة مؤمن ومؤمنٌ واحد لا زال يمشي حتى يجلس إليه، وإنَّ أجناس الناس كأجناس الطير، ولا يتفق نوعان في الطيران إلا وبينهما مناسبة.

أيها الإخوة الأفاضل: ينبغي على الواحد منا أن يفتش نفسه.

واعلم يا عبد الله! وفقنا الله تعالى وإياك إلى ما يحبه ويرضاه، أنَّ قلبك إنَّ نفر من أهل الدين فأنت مريضٌ، فداو نفسك حتى تميل إلى أهل الخير، وإذا رأيتَ نفسك تميل إلى أهل الشر والفجور فاتهم نفسك واستدرك عمرك قبل الفوت.

وإذا رأيتَ نفسك تميلُ إلى الأخيار، وتحبُّ مجالستهم مع علمك بسوء سيرتك، واعوجاج طريقتك، وقبح ما تُخفي وأنت بينهم، فاعلمْ أن فيك بقية خير، فاجتهد في اقتلاع الشر من نفسك لتكون مثلهم، وإذا رأيتَ نفسك تحبُّ الذهاب مع المجرمين، وأنت من أهل الخير، ففيك شعبة من النفاق، عافانا الله تعالى وإياك من ذلك.

إنَّ الإخوان الصالحين نعمة عظيمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد ثبت عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: «لولا ثلاثُ ما أحببت البقاء ساعة: ظمأُ الهواجر - الصيام في النهار الحار - والسجود في الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطيب الكلام كما يُنتقى أطيب الثمر».

وقال الشافعي رحمه الله تعالى عليه: لولا القيام بالأسحار، وصحبة الأخيار، ما اخترتُ البقاء في هذه الدار.

وكانوا إذا فقدوا أخاً عزيزاً عُرِف ذلك فيهم، قال أيوبُ السخيتاني رحمه الله تعالى عليه: «إذا بلغني موتُ أخٍ لي فكأنما سقط عضوٌ مني».

أَخَاكَ أَخَاكَ فَإِنَّ مَنْ لَا أَخًا لَهُ كَسَاعَ إِلَى الْهَيْجَاءِ بغير سلاح  
ولذلك كان التفریط في الصالحين وتضييع الأخ الصالح من  
أعظم البؤس، وأشد البأس على النفس، وأعجز الناس من  
فرط في طلب الإخوان الصالحين، وأعجز منه من ضيع مَنْ  
ظَفَر به منهم، فربما يلقاها ثم يضيعهم؛ فهذا أعجز من الذي  
فرط في ملاقاتهم والتعرف عليهم أصلاً، لأنه عرف النعمة ثم  
كفرها، فهم يعرفون نعمة الله ثم يحدونها ويتخلون عنها.

والرجل بلا إخوان كاليمين بلا شمال والشمال بلا يمين.  
وقال الأصمعي رحمه الله تعالى عليه: إذا أردت أن تعرف وفاء  
الرجل ووفاء عهده، فانظر إلى حنينه إلى إخوانه، وتشوقه إليهم.

### فوائد صحبة الصالحين:

أيها الإخوة الكرام: إن مصاحبة الصالحين والخير  
الحاصل والثمار التي تُجنى من مجالسة أهل الخير كثيرة يُصعبُ  
إحصاؤها، وتتعدَّدُ الإحاطة بها، وحسبي أن أذكر في هذا  
المقام شيئاً منها:

الأولى- التناصح: وهو من التعاون على البر والتقوى  
الذي أمر الله عزَّ وجلَّ به في محكم كتابه العزيز، حيث قال

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

فالمسلم يأخذ بيد أخيه ويبين له برفق وحكمة ما يره من النواقص والمعائب، والنصيحة ليست كما يزعم البعض تدخلاً في شئون الغير، بل هي دليل المحبة الصادقة والمودة الخالصة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله البجلي رحمته الله قال: «بايعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم».

الثانية- التشبه بهم ثمرة من ثمرات مصاحبتهم: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله تعالى عنه.

(٢) أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، والطبراني في «الأوسط» من حديث حذيفة رضي الله تعالى عنه،

لأنَّ المرءَ مجبُولٌ على الاقتداءِ بجليسه، والتأثر بعمله وعلمه وسُلوْكه، فَمُجَالِسُ أهل الخير يتأثر بهم، ومن المتقرر عندَ علماء التربية أنَّ التأثير عن طريق القدوة أبلغُ من التأثير بالمقالِ والنُّصح.

الثالثة- الانتفاع بمحبة الله لمحبتهم: لأنَّ المُجالسةَ والمصادقة والزيارة في الله تعالى سببٌ لمحبة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى للعبد، فكما أنَّ المحبَّة تُثمرُ المُجالسة، فكذلك المُجالسةُ تُثمرُ المحبة، والحبُّ في الله له ثمراتٌ عظيمة وآثارٌ جليلة على النفوس، وقد رَتَّبَ الله عَزَّجَلَّ عليه الأجور العظيمة والثواب الجزيل، كما جاء في الحديث القدسي: «قال الله تعالى: وجبتُ محبَّتِي للمتحابِّينَ فِيَّ، والمتجالسينَ فِيَّ، والمتبازِلينَ فِيَّ، والمتزاورينَ فِيَّ»<sup>(١)</sup>.

وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى عليه في «صحيح الجامع» (١٠٥٩/٢) حديث رقم [٦١٤٩].

(١) أخرجه أحمد والطبراني في «الكبير» والحاكم والبيهقي في «شعب الإيمان» من حديث معاذ رضي الله تعالى عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى عليه في «صحيح الجامع» (٧٩٨/٢) حديث رقم [٤٣٣١].



وفي حديث آخر: «قال الله تعالى: حُقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحُقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ، وَحُقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ، وَحُقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحُقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ»<sup>(١)</sup>.

الرابعة- الانتفاع بدعائهم بظهر الغيب في حياتك وبعد مماتك: فإنَّ من عادة أهل الخير والصلاح دعاء بعضهم لبعض، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بظهر الغيب قال الملك الموكل به، آمين، ولك بمثله»<sup>(٢)</sup>.

الخامسة- جلساء الخير يعرفونك ويدلونك على إخوان الخير فتزداد المعرفة، ويعاونوك على العبادة وهكذا تريد الاستفادة: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هَدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ... الحديث»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أحمد والطبراني في «الكبير» والحاكم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى عليه في «صحيح الجامع» (٢/ ٧٩٦) حديث رقم [٤٣٢١].

(٢) أخرجه مسلم وأبو داود من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم وأحمد وأصحاب السنن من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ

فَاعِلِهِ»<sup>(١)</sup>.

السادسة- ذكر الله تعالى: قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَوْلِيَاءُ اللَّهِ

تَعَالَى الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ تَعَالَى»<sup>(٢)</sup>.

فَأُثِّبَتْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْأَخْيَارِ تَأْثِيرًا عَلَى مَنْ رَأَاهُمْ، وَأَنَّ مَنْ يَرَاهُمْ يَذْكُرُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِمَجْرَدِ هَذِهِ الرُّؤْيَةِ، وَلَعَلَّ سَبَبَ ذَلِكَ مَا يَجِدُهُ فِيهِمْ مِنَ الْهُدْيِ وَالسَّمْتِ وَالْهَيْئَةِ وَنُورِ الْإِيمَانِ وَحُسْنِ السَّيْرِ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا يَحْصُلُ لِمَنْ رَأَاهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يُجَالِسُهُمْ

وَيُخَالِطُهُمْ؟؟؟

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه.

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوارد الأصول»، وأبو نُعَيْم في «حلية الأولياء» من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى عليه في «صحيح الجامع» (٥٠٥ / ١) حديث رقم [٢٥٨٧].

وكان الحافظ عبد الله بن مسلمة القعنبي رحمة الله تعالى عليه، وهو من رجال الصحيحين (البخاري ومسلم) إذا خرج على الناس قالوا: لا إله إلا الله، وكان من أهل الحديث، وهو ثقة عابد.

انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي رحمة الله تعالى عليه.

**السابعة-** بركة المجالس والخير الذي يعم الحاضرين كما قال النبي ﷺ: «البركة في ثلاثة: في الجماعة، والثريد، والسُّحُور»<sup>(١)</sup>.

وقال صلواتُ ربي وسلامه عليه: «ما جلس قومٌ يذكرونَ الله، إلا حَفَّتْهُمُ الملائكةُ، وغَشِيَتْهُمُ الرحمةُ، ونزلتْ عليهمُ السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» والبيهقي في شعب الإيمان من حديث سلمان رضي الله تعالى عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمة الله تعالى عليه في «صحيح الجامع» (٥٥٧/١) حديث رقم [٢٨٨٢].

(٢) أخرجه ابن حبان بهذا اللفظ، من حديث أبي سعيد وأبي هريرة معاً رضي الله تعالى عنهما، وصححه الشيخ الألباني رحمة الله تعالى في «صحيح الجامع» (٩٨١/٢) حديث رقم [٥٦٠٨].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما جلس قومٌ يذكرون الله تعالى فيقومون حتى يُقال لهم: قوموا قد غفر الله لكم ذنوبكم، وبُدِّلَت سيئاتكم حسناتٍ»<sup>(١)</sup>.

فما أعظم النعمة بالجلوس معهم إذا كانوا سيقومون

وقد غفر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لهم، وأبدل سيئاتهم حسنات؟!

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الحديث الطويل: «إِنَّ الله ملائكةً سيَّاحين في الأرض فضلاً عن كُتَّاب الناس، يطوفون في الطُّرُق، يلتمسون أهلَ الذِّكرِ، ..... فيقول: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قد غفرتُ لهم، فيقول مُلْكٌ من الملائكة: فيهم فلانٌ ليسَ منهم، إنما جاءَ لحاجةٍ، فيقول: هُمُ القومُ لا يشقى بهم جليسُهُم»<sup>(٢)</sup>.

فلا يُحرم من المغفرة وإن جاء حاجةٍ، ما دام جلس مع

الأخيار فلا بد أن يناله نصيبٌ من الفضل.

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» والبيهقي في «شعب الإيمان» من حديث سهل بن حنظلة رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى عليه في «صحيح الجامع» (٢/ ٩٨١) حديث رقم [٥٦١٠].

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

الثامنة- هم الزينة في الرخاء، والعدة في البلاء وخير معينٍ على تخفيف الهموم والغموم: وكم في حياتنا هذه من غموم وهموم؟! وكم فيها من شدائد ومحن يحتاج الواحد منا إلى شخص ناصح يستمع إلى شكواه فلا يجد، ولو كان لا يريد منه شيئاً إلا مجرد السماع، لأن في بث الشكوى راحة، فبعض الناس من النعم التي حرموها أنهم لا يجدون أحداً يسمع شكواهم، لفقد صديق الخير، وصاحب الخير، لو ما سمع إلا الشكوى لكان في ذلك تنفيس وراحة، فكيف إذا كان سيعين ويساعد بعقله ومشورته، أو بهاله وجاهه ومساعدته؟!!

خرج عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرةً على أصحابه فقال: «أنتم جلاء أحزاني».

وهكذا فعلاً يكون الإخوان تسليّةً وتسريةً، يكون لقاء الأوبة مُصَفِّياً ومُنَقِّياً، ويكون طارداً للهم والغم.

التاسعة- قضاء حوائجهم، وسترهم، وإدخال السرور على قلوبهم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم، وأحبُّ الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ سرورٌ تدخله

على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضاً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»<sup>(١)</sup>.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» والطبراني في «الكبير» من حديث عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى عليه في «صحيح الجامع» (١/ ٩٧) حديث رقم [١٧٦] وفي «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٦٠٨-٦٠٩) حديث رقم [٩٠٦].

(٢) أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

الموفية العاشرة: النجاة من فزع يوم القيامة: قال  
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا  
 الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٧) يَنْعَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿  
 [الزخرف: ٦٧-٦٨].

فإذا كان معهم في الدنيا نَجَى بفضل الله تعالى ورحمته من  
 الفزع الأكبر، يوم يتبرأ الذين اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وتقطع  
 بهم الأسباب، ويلعن بعض الناس بعضاً يوم القيامة، وكما  
 قال النبي ﷺ: «المرء مع مَنْ أَحَبَّ»<sup>(١)</sup>.  
 وقال ﷺ: «والله، لا يُلقِي الله حبيبه في  
 النار»<sup>(٢)</sup>.

فإن قال قائل: أين أجد الصالحين؟

فالجواب: من مظان وجود الصالحين، وأعظم المظان على  
 الإطلاق بيوت الله تعالى.

(١) سبق تخريجه ص [١٥].

(٢) أخرجه الحاكم من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمه  
 الله تعالى عليه في «صحيح الجامع» (١١٩٣/٢) حديث رقم [٧٠٩٥].

عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما قال: «مَنْ أَدَامَ الاختلافَ إلى المسجد أصاب ثمان خصال: آية مُحْكَمَة، وَأَخًا مُسْتَفَادًا، وَعِلْمًا مُسْتَطَرَفًا، وَرَحْمَةً مُنْتَظَرَةً، وَكَلِمَةً تَدُلُّهُ عَلَى هُدًى، أَوْ تَرُدُّهُ عَنِ رَدًى، وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاءً، أَوْ خَشْيَةً».   
إِذْنًا فَانْطَلَقْ مِنْ بَيْتِ اللَّهِ تَعَالَى الْمَسَاجِدَ، وَهَكَذَا يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ الْإِخْوَانَ وَيَنْتَقِيهِمْ.

#### اختيار الصاحب:

إذا قال قائل: إنني وجدتُ منهم عددًا، فأيهم الذي أصحاب؟

والجواب: نرجع إلى ما قاله السلف الصالح، فإنهم كانوا يفاضلون بين الأشخاص بأي شيء؟ بالعلم، والسنة، والعبادة، وخدمة الدين، والخلق.

ولذلك فإنَّ الإنسان لا يَعدُّ من الموازنة التي تقوده إلى صاحبه الذي يخالطه، ويتابعه، ويعاشره، ويأوي إليه.



فانظر فيهم: مَنْ أَرْكَى عِلْمًا، وَأَشَدَّ إِتْبَاعًا لِلْسُنَّةِ، وَأَحْسَنَ خَلْقًا، وَأَكْثَرَ حِرْصًا عَلَى خِدْمَةِ الدِّينِ الْحَنِيفِ وَالِدَعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَعْرِفُ مَنْ تَخَالُطُ.

ولذلك قال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله تعالى عليه:  
«فالعجبُ مَنْ يَتَرَخَّصُ فِي الْمَخَالَطَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الطَّبْعَ يَسْرِقُ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ تَقَعَ الْمَخَالَطَةُ لِلأَرْفَعِ وَالْأَعْلَى فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ لِيُسْتَفَادَ مِنْهُ، فَأَمَّا مَخَالَطَةُ الدُّونِ فَإِنَّهَا تُوْذِي، إِلَّا إِذَا كَانَتْ لِلتَّذْكِيرِ وَالتَّأْدِيبِ».

وهذه كلمةٌ عظيمةٌ من إمام كبير. إِنَّ كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي تَدْعُوهُ وَهُوَ دُونَكَ فَتَعْمُ، وَتَعْلَمُهُ وَهُوَ دُونَكَ فَتَعْمُ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَحْرُسُ دَائِمًا عَلَى صَحْبَةِ الْأَرْفَعِ وَالْأَعْلَى وَالْأَكْثَرِ فَائِدَةً.

وتأمل في علاقة الإمام أحمد رحمه الله تعالى عليه بمحمد بن نوح كيف كانت متبادلة من الأعلى إلى الأدنى ومن الأدنى إلى الأعلى.

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى عليه عن محمد بن نوح الشاب: ما رأيتُ أحدًا على حداثة سنه وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، إني لأرجو أن يكون قد خُتم له بخير. وذلك لأنه لما أخذنا معًا إلى المأمون في فتنة خلق القرآن مقيدَين فمات محمد بن نوح في الطريق، فغسله الإمام أحمد رحمه الله تعالى عليه وكفنه وصلى عليه، وقال هذا الكلام في شأنه: إني لأرجو أن يكون قد خُتم له بخير.

قال لي ذات يوم: يا أبا عبد الله! الله.. الله.. إنك لست مثلي! أنت رجلٌ يُقتدى بك، قد مد الخلقُ أعناقهم إليك لما يكون منك، فاتقِ الله، واثبت لأمر الله. قال: فمات، وفُكَّ قيده، وصليت عليه، ودفنته يرحمه الله.

اللَّهُمَّ ارحم موتانا، اللَّهُمَّ إنا نسألك صحبة الأخيار، ومرافقة الأبرار، وعيشة السعداء، وحياة الأتقياء، وميتة الشهداء، ومرافقة الأنبياء، إنك على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

## من أقوال الحكماء في الصحبة:

قال أحد السلف: الأخ الصالح خيرٌ لك من نفسك، لأنَّ النفس أمارة بالسوء والأخ الصالح لا يأمر إلا بخير. ويقول الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه: لولا القيام بالأسفار وصحبة الأخيار ما اخترتُ البقاء في هذه الدار.

ووعظ بعضهم ابنه فقال له: إياك وإخوان السوء، فإنهم يخونون مَنْ رافقهم، ويُفسدون مَنْ صادقهم، وقرَّبهم أعدى من الحرب، ورفضهم والبعدُ عنهم من استكمال الأدب والدين، والمرءُ يُعرف بقرينه، والإخوان اثنان فمحافظ عليك عند البلاء، وصديق لك في الرخاء، فاحفظ صديق البلية، وتجنب صديق العافية فإنه أعدى الأعداء.

## الأصدقاء ثلاثة:

والأصدقاء ليسوا كلهم على درجة واحدة بل إنهم يختلفون، فبعضهم أنت بحاجة له دائماً وهذا أخطرها وبعضهم تفرضه عليك طبيعة الحياة وإن كنت لا تريده، وبعضهم شر ووبال عليك وفي ذلك يقول العلامة ابن القيم

رحمة الله تعالى عليه: «الأصدقاء ثلاثة: أحدهم كالغذاء لا بد منه، والثاني كالدواء يُحتاج إليه في وقت دون وقت، والثالث كالداء لا يُحتاج إليه قط».

### معايير اختيار الجليس:

فثمة صفات لا بد من توافرها في الصديق الذي تبحث عنه وتختاره لتكون صداقتك قائمة على أساس متين قوي ولتجني من خلالها ما ترجوه وتأمله ولتحقيق ذلك لا بد أن تضع أمامك دائماً وأبداً معيار الدين والتقوى والصلاح في اختيار الصديق فإنَّ النبي ﷺ قد أرشد إلى ذلك بقوله: «لا تصاحب إلا مؤمناً» والله جلَّ وعلا يقول: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الْخُوف: ٦٧].

يقول أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه: عليك بإخوان الصدق تعش في أكفانهم، فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يبغضك منه، واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا مَنْ يخشى الله، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من

فجوره ولا تطلعه على شرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى.

### العاقل اللبيب خير صديق؛

الصديقُ العاقل اللبيب أمرٌ أساسي في اختيار الأصدقاء فإنه ينفعك بعقله ولا يضرّك بتصرفاته ويفيدك عند المشورة وأخذ الرأي، واحذر كل الحذر من مصاحبة الأحمق المغفل فتجلب لنفسك كثيرًا من الأضرار والمصاعب وكيف تصاحب مَنْ لا يُفرق بين النافع والضار وليكن في صديقك الذي تختاره مع ما سبق حُسن خُلُق يَنفَعُكَ في وقت عُسرِكَ ويواسيك بهاله ورأيه ومشورته ويقف معك في الملمات ويعفو عن الزلات ويملك نفسه عند الغضب فكم من صديق في اليسر لا تحمله أخلاقه على مواساة أصدقائه ولا على إثارة هم وقت شدتهم وعسرهم وكم من صديق سريع الغضب والضيق يغلب غضبه عقله ويقدم هواه على غيره، وكم من صحبة وصدّاقة ومودة أفسدها سوء الخلق وقبح الكلام وسوء التعبير وشدة الانفعال. واسمع لقول أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رحمه الله: لولا ثلاث في الدنيا لما أحييتُ البقاء فيها، لولا أن

أحمل أو أجهز جيشًا في سبيل الله، ولولا مكابدة الليل، ولولا  
مجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب التمر.

**الجد والاجتهاد والهمة العالية لا يمكن الاستغناء عنها؛**  
ولا بد في الصديق الذي تختاره أن يكون جادًا سويًا ذا همة  
عالية مبتعدًا عن سفساف الأمور وصغائر الأعمال لا يمارس  
ما يكون سببًا للحكم عليه بالفسق أو قلة العقل والسفاهة  
والانحراف فإن ذلك كله له أثر على سمعتك وقد تتأثر من  
طول صحبته ببعض أخلاقه وصفاته الذميمة.

### صحبة الأشرار وأضرارها:

اعلموا إخواني الكرام وفقنا الله تعالى وإياكم إلى ما يحبه  
ويرضاه: إن الله تعالى حذرننا من أهل السوء، قال: ﴿وَإِذَا  
رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾  
وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾.

[الأنعام: ٦٨]

يا من تعاشر صاحب سوء وأهل السوء! ﴿فَلَا تَقْعُدْ  
بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ لا تقعد بعد الذكرى مع

أهل السوء؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَهَاكَ عَنْ ذَلِكَ: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ  
الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ هؤلاء الذين يتبرأ بعضهم من  
بعض، ويقول الواحد منهم يوم القيامة: ﴿يَوَيْلَ لِي لِمَنِ لَمْ أَتَّخِذْ  
فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الْفَرَقَان: ٢٨].

ولذلك كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يستعيز في دعائه من صاحب  
السوء كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْمِ  
السَّوَاءِ، وَمِنْ لَيْلَةِ السَّوَاءِ، وَمِنْ سَاعَةِ السَّوَاءِ، وَمِنْ صَاحِبِ  
السَّوَاءِ، وَمِنْ جَارِ السَّوَاءِ فِي دَارِ الْمَقَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

لأنه ملازم؛ فإذا كان صاحب سوء فكيف يسلم من  
شره؟؟؟

«أعوذ بالله من صاحب السوء» قرين السوء الذي لا  
يمكن أن تأمنه على شيء، لا على عِرْض، ولا على مال، ولا  
على سر، لا يعينك على خير، ويزين المعصية، ويحث على  
الخبث.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» من حديث عقبة بن عامر رضي الله تعالى  
عنه، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٨/١) حديث  
رقم [١٢٩٩].

فلا خير في صحبة مَنْ إذا حدثك كذبك، وإذا أئتمنته خانك، وإذا أئتمنتك اتهمك، وإذا أنعمت عليه كفرك، وإذا أنعم عليك مَنْ عليك.

ينبغي أَنْ يُجْتَنَّبَ النَّاسُ قَبْلَ مَوَاقِفِهِمْ وَذَلِكَ عِنْدَ الْهَوَى إِذَا هَوَى، وَعِنْدَ الْغَضَبِ إِذَا غَضِبَ، وَعِنْدَ الطَّمَعِ إِذَا طَمَعَ، لِيُنْظَرَ مَا حَالَهُ فِي هَذِهِ الْمَوَاقِفِ الثَّلَاثَةِ!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عليه: النَّاسُ كَأَسْرَابِ الْقَطَا، مجبولون على تشبه بعضهم ببعض. ولا تقل: إنه لا يضرني، فالصاحب صاحب، والتشبه حاصل.

قلت: صدق وربُّ الكعبة، فَإِنَّ الطَّمَعَ يَسْرِقُ مِنَ الطَّمَعِ، وما أسرع أن يسير الإنسان في الاتجاه الذي يهواه صاحبه، وللعُدوى قانونها الذي يسري في الأخلاق كما يسري في الأجسام.

قال البُستِي محدِّراً من مصاحبة الأشرار:

تجنب مجالس أهل الفساد

وقايض دنوك منهم ببعد



فقد يفسد المرء بعد الصلاح

فساد الأماكن والشر يعدي

وقال الشاعر:

واختر قرينك واصطفيه

تفاخرًا فكلُّ قرين بالمقارن يقتدي

وقال آخر:

واختر من الأصحاب كل مرشد

إنَّ القرين بالقرين يقتدي

وصحبةُ الأشرار داءٌ وعمى

تزيدُ في القلبِ السقيم السقما

ورأى أحدهم الشمعةَ وهي تحترق فقال:

مالي أرى الشمعَ يبكي من مواقده

أمن حُرقةِ النار أم من فرقةِ العسل؟

فأجاب مَنْ سمع الصوت قائلاً:

مَنْ لَمْ تُجَانِسْهُ احذرُ تجالسْهُ

ما ضرب بالشمع إلا صحبة الفتل

أضرار جليس السوء:

فقد ذكرتُ فيما سبق الجليس الصالح وما له من فوائد على صاحبه، والآن حتى تكتمل الصورة أمام القراء الكرام نذكرُ الجليسَ السوء.

والجليس السوء مضرّة على صاحبه من كل وجه وشؤم عليه في الدنيا والآخرة، ويتعذّرُ تتبّع كُلِّ ما يترتب على مجالسة أهل السوء من المفاسد والأضرار، ولعلَّ ذَكَرَ شيء منها يكفي في تحذير العاقل من هذه المجالسة، فمن أضراره:

١ - أنه قد يُشكّك في معتقداتك الصحيحة ويصرفك

عنها، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ

﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾

إِذَا مَنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْ نَأْمِدِيُونُ ﴿٥٣﴾ [الصَّافَّاتِ: ٥٠-٥٣].

وتدبروا جيداً قصة وفاة أبي طالب على الكفر، وكيف كان جليسُ السوء سبباً في موته على تلك الحال، فقد أخرج الشيخان (البخاري ومسلم) عن المُسيَّب بن حزن رضي الله عنه قال: «لما حضرت أبا طالبٍ الوفاةُ جاءه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوجدَ عنده أبا جهلٍ بن هشام وعبدُ الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: أي عمِّ قلْ لا إله إلا الله، كلمةُ أحاجُّ لك بها عندَ الله، فقال أبو جهل وعبدُ الله بن أبي أمية: أترغبُ عن ملةِ عبدِ المطلبِ؟! فلم يزلْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعرضُها عليه، ويعودان لتلك المقالة، حتى قال أبو طالبٍ آخرَ ما كلَّمَهُم: أنا على ملةِ عبدِ المطلبِ، وأبى أن يقولَ لا إله إلا الله».

فانظر أخي المسلم - وفقني الله تعالى وإياك إلى حسن الخاتمة - كيف صنعُ جلساءُ السوءِ به، أضلاه في حياته، وما زالا به حتى أسلماه إلى النار، أعاذنا الله تعالى وإياكم من سوء الخاتمة.

٢- أن جليسُ السوء يدعو جليسه إلى مماثلته في الوقوع في المحرّمات والمنكرات.

٣- أن المرء بطبيعته يتأثر بعادات جليسه وأخلاقه وأعماله وقد تقدم قوله صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»<sup>(١)</sup>.

فإذا كان الجليس سيئاً شريراً تأثر به المرء واصطبغ بصبغته.

وقد قيل : «إياك ومجالسة الشرير فإن طبعك يسرق من طبعه وأنت لا تدري».

٤- أن رؤيته تذكّر بالمعصية سواء كانت ظاهرة عليه أو خفية وكنت تعرف ذلك منه، فتخطر المعصية في بال المرء بعد أن كان غافلاً أو متشاغلاً عنها.

٥- أنه يصلك بأناس سيئين يضرك الارتباط بهم وقد يكونون أشدّ انحرافاً وفساداً وشرّاً من هذا الجليس.

٦- أنه يخفي عنك عيوبك ويسترها عنك ويحسن لك خطاياك ويخفف وقع المعصية في قلبك ويهون عليك التقصير في الطاعة .

٧- أنك تُحرّم بسببه من مجالسة الصالحين وأهل الخير  
لأنها كك معه في الشهوات والملذات، ويحذرك من مجالستهم  
فيفوتك من الخير والصلاح بقدر بعدك عنهم .

٨- أن الذي يُجالس أهل السوء يقارن أفعاله السيئة  
بأفعالهم فيستقل سيئاته بجنب سيئاتهم فيكون ذلك سبباً في  
زيادة طغيانه وانحرافه وتقصيره في الأعمال الصالحة وعلى  
الأقل يصاب بالعُجب بما هو عليه والعُجب مرض مهلك،  
فجليس السوء مضرّة على صاحبه من كل وجه وشؤم عليه  
في الدنيا والآخرة .

٩- إنَّ صُحبته ومؤاخاته عُرضة للزوال عند وجود  
أدنى خلاف أو تغيير مصلحة، قال عبدُ الله بنُ المعتز رحمة  
الله تعالى عليه: «إخوانُ السوءِ يَنصَرِفون عند النكبة ويُقبلون  
مع النعمة».

ولهذا قالوا: مَنْ وَدَّكَ لِأَمْرٍ، وَلَّى مَعَ انْقِضَائِهِ.

وقال أبو الحسن التَّهَامِيُّ:

شَيْئَانِ يَنْقُشِعَانِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ

ظُلُّ الشَّبَابِ وَصُحْبَةُ الْأَشْرَارِ

١٠- أَنَّ مَجَالِسَ أَهْلِ السُّوءِ لَا تَخْلُو مِنَ الْمَحْرَمَاتِ  
وَالْمَعَاصِي كَالْغِيَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْكَذِبِ وَاللَّعْنِ وَنَحْوِ ذَلِكَ  
فَرُبَّمَا يُوَافِقُهُمْ جَلِيسُهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ أَوْ يَنْكُرُ عَلَيْهِمْ لَكِنْ  
لَا يَفَارِقُ مَجْلِسَهُمْ فَيَقَعُ فِي الْإِثْمِ.

١١- أَنَّهُ لَوْ دَامَتْ مَوَدَّتُهُمْ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهَا سَرَعَانَ مَا  
تَنْقَشِعُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَتَنْقَلِبُ إِلَى عَدَاوَةٍ وَبَغْضَاءٍ قَالَ تَعَالَى:  
﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

[الْخُوف: ٦٧]

وَسَبَبُ تَبَدُّلِ تِلْكَ الْحُلَّةِ وَالصَّدَاقَةِ إِلَى عَدَاوَةٍ هُوَ مَا أَوْرَثَتْهُ  
هَذِهِ الْمُخَالَالَةُ وَالصَّدَاقَةُ مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.

١٢- أَنَّ غَالِبَ مَجَالِسِ أَهْلِ الْفُسْقِ لَا يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا  
فَتَكُونُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً عَلَى أَصْحَابِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ، لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ

تعالى فيه، إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

١٣ - أن في مجالستهم تضييعاً للوقت الذي سيحاسب العبد على التفریط فيه يوم القيامة .

١٤ - أنك به تُعرف ويُساء بك الظن من أجل صُحبتك له .

وبالجملة فمصاحبة الأشرار مضرّة من جميع الوجوه على مَنْ صاحبهم وشرّ على من خالطهم فكم هلك بسببهم أقوامٌ وكم قادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون.

ولذلك قال أبو الأسود الدؤلي رحمة الله تعالى عليه :  
«ما خلق الله خلقاً أضرّ من الصاحب السوء».

---

(١) أخرجه أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمة الله تعالى عليه في «صحيح الجامع» (٢/ ١٠٠٢) حديث رقم [٥٧٥٠].

فعلى العاقل الناصح لنفسه الذي يريد لها النجاة والسعادة  
في الدنيا والآخرة أن يتجنب مخالطة هؤلاء ويفر منهم غاية  
الفرار ولا يتهاون في ذلك.

فَمَنْ الذي علم مدمني المخدرات المخدرات؟!  
وَمَنْ الذي جر الفحش إلى كثير من أهل الفحش؟!  
وَمَنْ الذي أعطى القصص الخليعة وروايات السوء المثيرة  
إلى من تأثر بها من الشباب؟!

مَنْ الذي جلب إليهم الأفلام الداعرة؟!  
مَنْ الذي ضيعهم عن أهليهم؟!  
مَنْ الذي جعلهم يضيعون أماناتهم، وزوجاتهم،  
وأولادهم؟!

إنهم قرناء السوء، أثرهم واضح في الواقع، يضيِّعون  
العمر، إنهم مَرَضٌ وَهْمٌ، وَغَمٌّ وَعَجْزٌ.

أيها المسلم! يا عبد الله! قد تكون أنت من أهل الخير،  
ولكن في نفسك شيء من الهوى إلى الجلوس إلى بعض أهل  
السوء، فإياك.. إياك.. أن يأخذك إلى أي مكان؟! إنَّ صاحب



الخير يأخذك إلى مسجد، أو حلقة علم، أو زيارة نافعة، أو عبادة وطاعة، أو قربة، أو يصحبك في حج أو عمرة. أمّا ذلك فيأخذك إلى مكان دمّر حياة كثير من الناس! فهل من توبة؟! وهل من عودة؟!

وأقل ما في صحبتهم: ضياع الأوقات.

فإذا لم يُوفّق الإنسان بصاحب عقلٍ راجح فكيف يكون العيش؟! وإذا كان الإنسان في مكان لم يجد فيه قريباً صالحاً، قد يعيش في مجّمع سكني، أو مكانٍ ناءٍ لا يجد فيه صحبة صالحة، يُبتلى العاملُ بعمالٍ حوله من غير المسلمين، أو غير ذلك ممن يكونون معه، فربما لا يجد أحداً من أهل الخير، فماذا يفعل عند ذلك؟ قال العلماء: فالأولى للرجل في هذه الحالة ألا يزور إلا المقابر، ولا يفاوض إلا الكتب، وليستعن بالله تعالى على التوفيق، ويجعل خلوته أنساً بالله تعالى. إذا لم تجد أصحاباً فخالط كتب العلماء، وإذا لم تجد صالحاً تزوره فزر القبور.

أيها الإخوة: كثيرٌ من الناس لا يغيرون العلاقات السيئة، لِقَدَمِ العهد وجريان العادة، فهو لما تعود على هذه المجموعة (الشلة - العصابة) لا يريد أن يفارقها، إنَّ هناك جاذبيَّةً، إنَّ سريان الوقت قد جعله متعلقاً بهم، فانتشال النفس من بينهم يحتاج إلى دينٍ، ومجاهدةٍ، وإرادةٍ قويةٍ لا يُرزَقُها إلا مَنْ أخلص النية لله عَزَّجَلَّ من أجل الخلاص.

أيها الأب: ساهم في توجيه ولدك إلى أهل الخير في الوقت المبكر، فإنَّ الولد إذا كَبُرَ فَبَنَى علاقاته بنفسه، فإنه يصعب عليك جدًّا أن تغيِّرَها أنت، اختر له قبل أن يختار هو، فإذا رأيته مال إلى أهل الخير فشجِّعه، وأيِّده، وانصره، ووافقه على ما مال إليه، لأنه فيه صلاح دينه ودنياه.

وبعضهم يقول للأخيار: أدفع لكم نقودًا وخذوا ابني. وبعضهم اعتَبَرَ بضياع الولد الأول، فلا يريد أن يضيع الثاني، والذي رأى تجارب غيره لا يحتاج أن يُجرِّبها، إلا إذا كان ممن لا يعتبر!!!

وهذه من مسؤوليات الآباء في اختيار الصالحين لمرافقة أبنائهم منذ السن المبكرة، وأن يتعاون الجميع على أن يوجدوا بيئات صالحة، وإيجاد البيئة الصالحة مسؤولية عظيمة، وصدقة جارية، فوالله ووالله وأيم الله وبالله وتالله (وهذه من أساليب القسم) إنَّ الذي يُوجد (يُساعد على إيجادها) مجموعةً صالحة يعيش فيها ولده وولدُ غيره وولدُ جاره صدقةً جارية، تكون له في كل علم اكتسبوه، وخلق انتفعوا به.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحُ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقُ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحُ لِلشَّرِّ، مَغَالِيقُ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

وأخيرًا اعلموا وفقنا الله تعالى وإياكم إلى كل خير، وجنبنا وإياكم كُلَّ سوء وبلاء وشر، أَنَّ قضية الصحة قضية دين وليست دنيا فقط، وعلى هذا الأساس نتخير ونتتقي

(١) أخرجه ابنُ ماجه من حديث أنس رضي الله عنه، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى عليه في «صحيح الجامع» (٤٤٢/١) حديث رقم [٢٢٢٣].

الأصحاب، ونرغب في الصداقات أو نزهدها، وتأملوا جيداً قوله صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال»<sup>(١)</sup>.

وختاماً أقول: الزم أخي جلساء الخير وأهل الصلاح، ووطن نفسك على ذلك، واستفد من أخلاقهم وعلومهم وأعمالهم واستتر بآرائهم وتوجيهاتهم، ولا أنسى أن أذكرك بالصبر على ما قد تجده من أذى أو تقصير من بعضهم بسبب استيلاء النقص عليه واختلاف الطبائع والسلوك، واجعل هذه الآية دوماً أمام ناظريك وأمرها على صفحات قلبك، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

اللَّهُمَّ إنا نسألك أن تجعلنا من الذين ينشغلون بذكرك، اللَّهُمَّ أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللَّهُمَّ اجمع قلوبنا على طاعتك، ووفقنا للجلساء الصالحين  
الناصحين الخيِّرين الذين يأخذون بأيدينا إلى السعادة الدنيوية  
والآخروية، اللَّهُمَّ اجعلنا ممن يصاحب الأخيار يا رب  
العالمين!

اللَّهُمَّ ارزقنا فعل الخيرات وترك المنكرات، واجعلنا  
مفاتيح للخير مغاليق للشر، اللَّهُمَّ لا تجعلنا من النادمين،  
اللَّهُمَّ لا تجعلنا من النادمين، اللَّهُمَّ لا تجعلنا من النادمين،  
واغفر لنا ذنوبنا أجمعين.

اللَّهُمَّ انصرنا على أعداء الدين، اللَّهُمَّ عجل فرج  
المسلمين.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تهلك الكفرة الذين يعادون رسلك  
وأولياءك ويكذبون وحيك يا رب العالمين! اللَّهُمَّ أنزل بهم  
بأسك وعذابك الذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين، ونجنا  
برحمتك يا أرحم الراحمين!

نَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ فِي عِلَّاهُ أَنْ يَعْلَمَنَا مَا يَنْفَعُنَا وَيَنْفَعُنَا بِهَا عَلَّمَنَا  
وَأَنْ يَجْعَلَ جَمِيعَ أَعْمَالِنَا خَالِصَةً لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، كَمَا نَسْأَلُهُ  
سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا مِنَ الْمُتَحَابِّينَ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيهِ.  
إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى  
الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ..

كتبه

راجي عفوره الغفور

أبو محمد/

خالد بن محمد البحر جاسور

الإسكندرية - برج العرب الجديدة

يوم الاثنين ١٤ من ذي القعدة ١٤٣٠ هـ -

الموافق ٢ من نوفمبر ٢٠٠٩ م

## المحتويات

٨.....	الفرق بين الصاحب والصدیق
٢٦.....	مميزات المجلس الصالح
٢٧.....	وصية.....
٣٠.....	فوائد صحبة الصالحين
٤٠.....	اختيار الصاحب
٤٣.....	من أقوال الحكماء في الصحبة
٤٣.....	الأصدقاء ثلاثة.....
٤٤.....	معايير اختيار المجلس
٤٥.....	العقل اللبيب خيرُ صديق
٤٦.....	صحبة الأشرار وأضرارها
٥٠.....	أضرار جليس السوء
٦٣.....	المحتويات